ومن مميزات مادة الحياة الأولية هذه أنها لها خاصية استنساخ نفسها، وهذا يعطي الانطباع بأنهم بنظرياتهم هذه كانوا يسعون جاهدين للحصول على أهم صفات الكائنات الحية، وهي صفة التكاثر.

وزعموا أيضاً أنه بمرور الزمن تجمعت خيوط مادة الحياة الأولية هذه لتكون الكائنات وحيدة الخلية، الحيوانية منها والنباتية، ومن هذه الكائنات تطورت الكائنات متعددة الخلايا المائية واستطاع البعض منها الخروج من الماء والعيش على اليابسة، وهكذا نشأت الحيوانات البرمائية وعاش البعض منها على البر ومن هذه الكائنات تطورت كل المخلوقات التي حولنا اليوم بما في ذلك الإنسان والذي تطور من أنواع من القرود، أما كيف يتطور كائن حي من كائن حي مغاير له تماماً في الصفات الوراثية فهذا ما لم يضعوا له التفسير المقنع.

نحن الذين نؤمن إيماناً راسخاً بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأزواج كلها قد أرحنا أنفسنا من كل هذا العناء الذي أتعس هؤلاء العلماء، ونحن أيضاً لسنا ضد العلم وضد البحث العلمي المبني على المنطق السليم. معاذ الله أن نكون كذلك، لأن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نسير في الأرض. وندرس ونبحث ونتحرى عن بداية الخلق، حيث يقول جل من قائل في (سورة العنكبوت آية: ٢٠):

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم.

كم كنا نتمنى أن يقوم علماء الأحياء وغيرهم ممن شاركوا في وضع نظريات التطور بدارسة القرآن الكريم للاستفادة مما ورد فيه من تفصيل حول خلق

السموات والأرض، وكل ما دبّ على هذه الأرض من مخلوقات قبل أن يجهدوا أنفسهم في البحث والتنقيب، ثم يسندون كل ما تعذر تفسيره إلى (الطبيعة) وأحياناً إلى (الصدفة). ليس هناك طبيعة وليس هناك صدفة بل هناك قوة إلهية مهيمنة وتدبير رباني لا قدرة لعقولنا على الإحاطة به، وعلينا أن نؤمن بوجوده كما أمرنا ربنا في كتبه السماوية وعن طريق أنبيائه الذين اصطفى.

لو أمعنا الفكر قبل النظر في قول الحق جل جلاله: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس:٣٦] صدق الله العظيم. لاستنتجنا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل حيوان ونبات بطريقة تضمن التكاثر والاستمرارية في الحياة. فقد خلقها الله أزواجاً لتتكاثر تلقائياً. ونرى ضرورة وجود الأشياء على صورة أزواج حتى في الجماد، فالكهرباء مثلاً وهي من خلق الله، لا تعمل إلا إذا وجد سالب وموجب.

ثم انظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ تجد فيه إشارة إلى أن علم الإنسان بالخلق هو علم ضحل وقليل، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الموت نعمة من الله:

الموت هو من خلق الله، وكل ما خلق الله هو من نِعَمِهِ جلّت قدرته، وسبحان الحي الذي لا يموت.

وإذا أردنا أن نعرف فضل الموت، ما علينا إلا أن نتصور حياتنا كما هي عليه الآن (أي نكبر ونهرم) ولكن بدون موت.. علينا أن نتذكر مدى المعاناة التي يمر بها من تقدمت به السن إلى ما بعد المائة عام، ومدى معاناة من يساعدونه في الحصول على متطلباته اليومية من مأكل ومشرب وما إلى ذلك، ولولا رحمة الله علينا لانشغل الناس كلهم في رعاية كبار السن والمرضى.

يقدِّر العلماء أن الناس الذين عاشوا على سطح هذه الكرة الأرضية منذ سيدنا آدم عليه السلام حتى هذا القرن، يصل إلى ما يقارب ثمانين بليون (أو مليار) نسمة[1]، ماتوا كلهم وبقي السكان الحاليون، والذين يقدر عددهم بحوالي خمسة بلايين نسمة. ولا يموت إنسان إلا إذا استوفى ما كتبه الله له من رزق، فسبحان الذي حدد لكل إنسان رزقه.

أيضاً، لو لم يكن هناك موت لبغى القوي على الضعيف، ولصرفنا كل وقتنا وجهدنا في توفير الأمن والحماية لأنفسنا ولكل ما نملك. ولو تركنا للخيال أن يسرح، لوجدنا أن الحياة بدون موتٍ ستكون سلسلة من العذاب والكفاح والحقد على الآخرين فسبحان الله العليّ القدير ما أجمل تدبيره لكونه ولكل ما فيه ومن فيه، سبحان قاهر العباد بالموت.

أما الحياة الحقيقية، الحياة التي ما بعدها موت، فهي الحياة الآخرة هناك في جنات النعيم لا حقد ولا غل، لا مشاحنة ولا بغضاء، لا هرم وضعف ومرض،

---

(١) Lawton H.W. and P.J>Wiloe (١٩٧٩) Ancient Agricultural Systems in Dry Regions Are. In Semi-Arid Snvironments Spring – Verlag NYpp.١

ولا سعي ولا كَدْ للحصول على الرزق، هناك لا يُقاس عمر أصحاب الجنة بالسنين لأنه خلود في نعيم دائم، نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لعمل كل ما يقربنا من الجنة إنه على كل شيء قدير.

الخوف من الموت:

يعد الخوف من الموت (أو حب البقاء) من أقوى الغرائز الأصيلة في الإنسان، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا دليلاً على أن هذه الصفة كانت موجودة في سيدنا آدم عليه السلام، فاقرأ إن شئت قول الحق سبحانه وتعالى في(سورة طه الآية:١١٦-١٢٠) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ صدق الله العظيم.

فسيدنا آدم عليه السلام، كان لديه كل ما يحتاج من مَأكل ومشرب وملبس في الجنة، وعندما أراد إبليس أن يغويه أتاه من نقطة ضعف كان يعلم أنها فيه وهي حب الخلود والتملك، فأوهمه أن الأكل من الشجرة التي نهاه الله سبحانه وتعالى عنها يحقق له هذا الخلود. فعصى آدم ربه، وأكل من الشجرة، ونحن على علم بكل ما ترتب على هذه المعصية.

ونحن على يقين أيضاً بأن لله سبحانه وتعالى حكمةً في كل ما حدث بين سيدنا آدم عليه السلام وإبليس اللعين في الجنة ويعتقد البعض أنه لولا معصية سيدنا آدم لأوامر الله سبحانه لكنا اليوم في الجنة، وهذا خطأ كبير، بدليل أن الخالق جلت قدرته قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وهذا دليل واضح على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم عليه السلام ونسله من بعده ليعمروا الأرض وليس ليسكنوا الجنة، وما دخول آدم في الجنة إلا لحكمة أرادها الخالق جل شأنه.

ولعل خوفنا من الموت ينشأ من شعورنا بألم الفراق الأبدي لكل ما نحب في هذه الحياة الدنيا من مال وولد وأقارب وأصحاب ومتع الحياة، ومن كل ما ألفنا عبر سنين الحياة، تخيل هذا الفراق الذي لا رجعة بعده كيف يبعث في النفس الرعب والكآبة والحزن.

أكثر ما يخيفنا من الموت أيضاً هو جهلنا لكل ما بعد الموت. ومثل هذا الجهل يفتح المجال للخيال أن يتجول في عالم الغيب وفي ظلمات رهيبة، فلا يرى إلا كل ما هو مخيف، غير أن مقدار التخوف من الموت يصبح من الأمور النسبية لأن الناس متفاوتون جداً في مقدار ما أعدوا لما بعد الموت، ودعونا لأجل تسهيل فهم هذه النظرية نصنف الناس إلى ثلاث فئات رئيسية هي:

أولاً: فئة الصالحين:

هؤلاء هم الذين آمنوا بالله إيماناً مطلقاً منذ الصغر ونشأوا نشأة إيمانية صادقة وعملوا بكل ما أمر الله وانتهوا عن كل ما نهى عنه – سبحانه وتعالى- هؤلاء هم الذين آمنوا بكل ما هو غيب من قضاء وقدر، وجنة ونار، وأيقنوا أن هذه الحياة

الدنيا ما هي إلا فترة وجيزة وعليهم أن يجمعوا خلال هذه الفترة أكبر قدرٍ ممكن من عمل الخير، ويتجنبوا كل ما ينقص رصيدهم من الأجر والثواب، فأمروا وأتمروا بالمعروف، ونهوا وانتهوا عن المنكر، ولعل هذا معنى كلمة (الاستقامة) التي بينت ما جزاء هؤلاء الصالحين المُصلحين حيث يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فُصِّلَت ٣٠-٣٣].

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة إن الملائكة تقول للصالحين عند الموت «لا تخافوا» من الموت ولا مما بعده «ولا تحزنوا» على ما خلفتموه في هذه الدنيا من ولد وأهلٍ ومال، فإننا نخلفكم فيه[1].

لاشك في أن هذه الرسالة السماوية الخفية كفيلة بأن تدخل إلى نفس المؤمن الصالح الكثير من الطمأنينة وتزيل عنه كل أثر للخوف من الموت، بل أكثر من هذا ربما يتوق إلى معرفة ما ينتظره عند ربه من نعيم دائم فيستعجل الموت.

(١) مختصر ابن كثير، المجلد الثالث، صفحة ٢٦٣.

وقد ذكر فضيلة الشيخ علي الطنطاوي قصة وفاة أحد هؤلاء الصالحين وهو الملك الحليم مظفر بن محمود من ملوك أحمد أباد في الهند وكان هذا الملك صاحب كرامات مُستجاب الدعاء فقال فضيلة الشيخ الطنطاوي[1]:

«... أما خبر وفاته فكان خبراً عجيباً يدل على حسن الخاتمة، وعلى أنه إن شاء الله- من أهل الجنة... فكان يوم الجمعة سنة ٩٣٢ هجرية، فقد قام إلى القصر، واضطجع إلى أن زالت الشمس، واستدعى الماء وتوضأ وصلى ركعتي الوضوء، وقام من مصلاه إلى دار النساء، واجتمعن عليه آيسات باكيات يندبن أنفسهم حُزناً على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر وفرق عليهم مالاً، ثم ودعهن واستودعهن الله سبحانه، ثم استدعى وزيره فأوصاه أن يحضر وفاته، وأن يغسله بيده وأن يُسامحه، وسمع أذاناً فقال: أهو في الوقت؟ فأجابه الوزير هذا أذان الاستدعاء لصلاة الجمعة (ويكون في الهند عادة قبل الوقت) فقال: أما صلاة الظهر فأصليها عندكم وأما صلاة العصر فأكون عند ربي إن شاء الله».

ويستمر الشيخ الطنطاوي في سرد الأحداث قائلاً: «ثم أذن للحاضرين أن يذهبوا لصلاة الجمعة، وطلب سجادة وصلى ودعا الله سبحانه بوجهٍ مقبلٍ عليه وقلبٍ منيب إليه، دعاه من هو مُفارق للقصر ومشرف على القبر، وقام من مصلاه واضطجع على سريره وهو مجتمع الحواس ووجهه على القبلة وقال: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» وفاضت روحه، والخطيب يدعو له من على المنبر».

(١) من مقال نشر في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٩٨٧ في الصفحة العاشرة تحت عنوان (نؤمن بالقدر ونتخذ ما استطعنا من حذره).

هذا جزء من قصة هذا الملك الصالح، كما أوردها فضيلة الشيخ علي الطنطاوي نقلاً عن أحد المراجع المتوفرة لديه. ولاشك في أن هناك قصصاً كثيرة مماثلة تبين تفاصيل ما يقوم به الأولياء والصالحون حين يقترب أجلهم. فهذه الفئة من الناس يزداد أفرادها إشراقاً وحيوية واستبشاراً كلما تقدمت بهم السنون، لأنهم يشعرون بأن لديهم رصيداً كبيراً من الأعمال الصالحة تنفعهم يوم يقفون أمام الميزان ليقال لهم (اقرأ كتابك) وعليه فهؤلاء الصالحون هم أقل الناس تخوفاً من الموت.

ثانياً: فئة المُلحدين:

وتضم هذه الفئة كل الكفرة الذين أنكروا وجود الله سبحانه وتعالى، وتضم أيضاً المشركين الذين اتخذوا آلهة من دون الله، وكذلك المنافقين الذين يتظاهرون بأنهم مؤمنين وما هم بمؤمنين وكل من لف لفهم. وجميع هؤلاء الناس هم ولاشك أكثر الناس تخوفاً من الموت، والقرآن الكريم غني بقصص هؤلاء الكفرة والمُلحدين وجدالهم مع أنبيائهم وبما أنزل الله بهم من عذاب في الحياة الدنيا وما ينتظرهم من عذابٍ يوم القيامة.

ونجد نماذج من هذه الفئة من الناس في كل مجتمع، وفي كل زمان ومكان... منهم الصغير والكبير، ومنهم الغني والفقير، والعالم والجاهل، ويخرج علينا من حين لآخر أفراد أو جماعات من هؤلاء الناس بفلسفات دينية أو سياسية أو غير ذلك.

وهناك أيضاً فئة من العلماء خاصة علماء الأحياء الذين آمنوا أن «الصدفة» هي المسؤولة عن وجود هذا الكم الهائل من أنواع الكائنات الحية. وبعد أن أفنوا

زهرة شبابهم في المُختبرات والحقول بحثاً عن أدلة تثبت ادعاءاتهم، اضطروا في آخر العمر «لإلقاء عصا الطاعة» واعترفوا أنه لابد من وجود قوة خارقة أكبر من كل ما يمكن أن يتصوروا حدودها تقف خلف هذه الدقة المذهلة في خلق الكائنات الحية. وقد قال أحدهم: «إذا كانت الصدفة هي التي خلقت الرجل فلا يعقل أن تقدر هذه الصدفة على خلق المرأة، لكثرة ما بين الرجل والمرأة من أوجه تشابه واختلاف، ذلك الاختلاف المصنوع بإبداع كامل يؤدي إلى حفظ النوع».

ومن هؤلاء العلماء من يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ويدخل في حظيرة الإيمان ومنهم من يستمر في ضلاله إلى أن يموت، وتحل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين والعياذ بالله.

وهؤلاء الكفرة والملحدون تراهم عندما تتقدم بهم السنون وقد بدت على وجوههم مسحة من غضب الله، فتجد وجوهاً مُغبرة، عيونها زائغة تائهة، ونفوساً مغموسة في حيرةٍ دائمةٍ، ولسان حالهم يسأل: «وماذا لو كان هناك حياة بعد الموت؟ ما هو مصيري لو كان هناك حساب يوم البعث وربٍ يحاسب على كل صغيرة وكبيرة وجنةٍ ونار»؟.

كل هذه الصور من الرعب تتراءى أمام أعين الكفار في أواخر أيام عمرهم فتقض مضاجعهم وتعكر صفوهم، وروي عن ابنة الطاغية الروسي المُلحد «جوزيف ستالين» قولها عندما مات أبوها: «لم أر في حياتي صورة للرعب كالصورة التي ارتسمت على وجه أبي لحظة وفاته»، وكأن هذا الرجل الذي قتل الآلاف من الناس الأبرياء رأى ساعة موته كل ضحاياه في انتظاره لينتقموا منه. أو كأنه رأى

مقعده من النار....

ثالثاً: الفئة الثالثة:

لنتصور وجود سلمٍ عالٍ جداً قاعدته على الأرض وقمته في علياء السماء وعدد درجاته تساوي عدد بني البشر الذين عاشوا على الأرض منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام إلى يوم البعث، ولو اصطف هؤلاء الناس على هذا السلم لوجدنا أن الأنبياء والصالحين والشهداء قد احتلوا أعلى الدرجات على هذا السلم، بينما احتل الكفرة والمشركون والمنافقون الدرجات السفلى أما الفئة الثالثة فيأخذ كل واحد منهم موقعه على هذا السلم، ويحدد مكانه طبعاً رصيده من الأعمال الصالحة. وتخوفه من الموت يتناسب طرداً مع اقترابه من الكفار والمشركين، فكلما اقترب موقعه منهم زاد خوفه من الموت والعكس صحيح.

إذا اعتبرنا أن هذا التحليل وهذا التصور مقبولان، فيحق لنا أن نسأل لِمَ الخوف من الموت؟ فمقدار الخوف من الموت هو من الأمور التي نستطيع التحكم فيها، فما علينا إلا أن نُكثر من عمل الخير، ونبتعد عن كل أعمال السوء. ويشجعنا على هذا ما وعدنا الحق جل جلاله به في القرآن الكريم من تسامحٍ لا حدود له مثل:-

- الذين يعملون السوء بجهالةٍ ثم يتوبون يبدل الله سيئاتهم حسنات، فأين يمكن أن نجد عند بني البشر مثل هذا الجود والكرم؟.
- الحسنة بعشرة أمثالها والسيئة بمثلها.
- الحسنات يذهبن السيئات.

- من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره (والعمل يعني القول والفعل).

وفي القرآن الكريم دلائل أخرى عديدة ومماثلة لما ذكر سابقاً، إذن فكل ما يحتاجه المسلم هو وعاء متين لجمع عمل الخير فيه، وهذا الوعاء هو الصلاة، فإن كان من المصلين الذين يحافظون على الصلاة في أوقاتها ولا يسهون عنها: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ صدق الله العظيم.

فما أهون عليه من جمع الحسنات في كل لحظة من حياته، أما إذا لم يكن من المصلين فيصبح مثله كمثل الذي يجمع الماء في الغربال، فالصلاة هي الحد الفاصل بين المسلم وغير المسلم، وهي القاعدة المتينة التي يُبنى عليها العمل الصالح الذي يُدخل صاحبه الجنة – إن شاء الله تعالى.

اللهم أعنا على حمدك وشكرك وحسن عبادتك وتقبل منا صلاتنا وأعنا على أدائها خير أداء يا أرحم الراحمين.

٤. **الحمد لله الذي جعل الموت مُبهماً:**

من أكبر نعم الله علينا ولاشك أنه جلّت قدرته- جعل الموت مبهماً علينا فلا أحد منا يعرف متى ولا أين ولا كيف سيموت. ولتقدير هذه النعمة، ما علينا إلا أن نتصور كيف تكون حياة الواحد منا لو علم يقيناً أنه سيموت: بعد خمسة أيام مثلاً، أو بعد خمسة أشهر أو حتى بعد خمس سنوات؟ كيف سيقضي هذه المدة المتبقية من حياته؟ لابد أنها ستكون فترة عسيرة، لأن حب البقاء والابتعاد عن الموت صفات

متأصلة في كل بني البشر.

ويقول الحق سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فمكان الموت أيضاً مبهم، ولو عرفناه لكان في هذه المعرفة شقاء كبير، إذ تصور لو أن أحدنا علم يقيناً أن موته سيكون في ذلك البلد، أو في السوق أو... فهل يجرؤ على الاقتراب من ذلك المكان؟ ولو أخذ أليه قسراً لتمثل له الموت في كل لحظة يمضيها في ذلك المكان.

وبنفس المنطق هب أن أحدنا علم يقيناً أن وفاته ستكون في حادث طائرة أو حادث سيارة أو شيئاً مماثلاً، فيكف سيكون شعوره إذا اضطر إلى الاقتراب من هذه الأشياء؟ ربما يستطيع الاستغناء عن ركوب الطائرة مثلاً ولكن هل يستطيع الاستغناء عن ركوب السيارة في هذا الزمان؟

فالحقيقة الثابتة والتي لا يختلف فيها اثنان أن كل إنسان مصيره الموت، وأن هذا الموت مبهم من حيث الزمان والمكان والكيفية، فالصغير والكبير، والذكر والأنثى، والمريض والسليم متساوو الفرص أمام الموت، وهذا من تدبير رب العباد في عباده، فسبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

والموت مبهم لنا، ولكنه معلوم للخالق سبحانه وتعالى، فالإنسان عندما تُنفخ فيه الروح وهو في المراحل الأولى من تخلقه في بطن أمه يحدد الخالق جلت قدرته عمره، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات: فيكتب رزقه،

وعمله وأجله وشقي أم سعيد، ثم تنفخ فيه الروح»، من هذا لحديث الشريف نتيقن أن الله سبحانه وتعالى قد حدد لكل واحد منا اجله ورزقه، ودُوِّنَ ذلك في كتابه من قبل أن يخرج من بطن أمه... إذن فلم الخوف من الموت؟ ولم الحذر الشديد وكل ما هو مكتوب لنا آتٍ لا محالة؟».

هذا غذاء للفكر، فاعتبروا يا أولي الألباب.

٥. ماذا بعد الموت؟:

ما بعد الموت غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله وحده، هذه أيضاً حقيقة ثابتة. ولكننا نَسمَع بين حين وآخر أن شخصاً مّا قد عاد إلى الحياة بعد الموت، ونحن نعلم أن هذا الذي مر به هذا الشخص لا يمكن أن يسمى موتاً، لأن الموت هو خروج الروح من الجسد خروجاً لا رجعة بعده، وما دامت الروح قد عادت (على افتراض أنها خرجت أولاً) فلا يحق لنا أن نسمي هذا موتاً، وإنما هو غيبوبة عميقة تلتبس أحياناً على الأطباء، وسنورد في الفصل الثالث من هذا الكتاب بعض الحوادث التي حدثت لأناس أدت إلى دخولهم في غيبوبة، شخصت على أنها حالة وفاة، ثم تبين أن هذا التشخيص كان خاطئاً.

وقد ورد في أحد المقالات المطولة تحت عنوان «ظاهرة الاقتراب من الموت والعودة إلى الحياة تثير جدلاً بين العلماء»[1] معلومات مهمة منها ما يلي:

(١) مقال أعدته ليلى القيسي ونشر في مجلة (المصور) الأسبوعية المصرية في العدد ٣٤٣٤ والصادر بتاريخ ٣/ ٨/ ١٩٩٠.

«إن هذا الموضوع قد شد اهتمام عدد كبير من الأطباء والعلماء والباحثين، كان من أشهرهم الطبيب (مودي) الذي ألف كتاباً تحت عنوان «الحياة بعد الموت» جمع فيه ما رواه له ما يقرب من مئةٍ وخمسين شخصاً تعرضوا لحوادث مميتة وأشرفوا على الموت، ولكنهم تماثلوا للشفاء وبقوا على قيد الحياة، أو عادوا من الموت كما يدعون، ويلخص هذا الطبيب ما جمع من معلومات فيقول: «إن معظم هؤلاء الأشخاص أفادوا بأنهم مروا أثناء غيبوبتهم في مراحل محددة منها:-

١. ذكر البعض منهم أنهم «خرجوا» من أجسادهم وحلقوا في سماء غرف العمليات الجراحية وشاهدوا كل ما كان يعمل الأطباء ومساعدوهم وسمعوا كل ما كان يجري من حديث بينهم. وقد أيد الأطباء المذهولون صدق ما قاله هؤلاء المصابون بالحوادث الخطيرة.
٢. يشعرون بعد هذه المرحلة بدوامة عنيفة تجذبهم، ويسمعون صراخاً مزعجاً وصفيراً حاداً، وموسيقى نشازاً، ويتعذر عليهم الهرب من هذا الجو المزعج.
٣. فجأة يظهر لهم نفق مظلم، وينجذبون إلى هذا النفق فيلمحون نوراً أبيضاً ولكنه بعيد في داخل النفق، وينجذبون تجاه هذا النور، وكلما اقتربوا منه إزداد حدة وانتشاراً وفجأة يجدون أنفسهم غارقين في بحر من النور الساطع الجميل والهدوء المريح.
٤. بعد ذلك يشعرون بدوار خفيف يتبعه زوال كل اثر للخوف، ويرون شريط حياتهم يمر أمامهم كالجالس في قاعة سينما وأمامه شاشة يُعرض عليها فيلم شيق، ويتمنى المزيد من هذه المشاهد التي يراها، ومنهم من يرى بعض الأقارب والأصدقاء الذين ماتوا آنفاً.

وهنا تتوقف المراحل حيث يفيقون من غيبوبتهم ويعودون إلى الحياة كما يحلو لهم أن يقولوا.

من غريب الأمر أيضاً أن ما يلاحظ من تغيير شامل في طباع وتصرفات الأشخاص الذين يمرون في هذه التجربة ومن أبرز معالم هذا التغيير.

- يتخلصون من كل أثر للخوف من الموت، ويزيد إيمانهم بالغيب، وينعكس هذا الشعور على تصرفاتهم، فيشعر من حولهم بأنهم يتمتعون بالحياة أكثر مما كانوا عليه قبل التجربة.
- يسعدهم أن يتحدثوا للآخرين عن تجربتهم ويتمنون أن يصدقهم كل من يستمع إلى ما يقولون.
- البعض منهم يوجهون اللوم لأطبائهم لأنهم أعادوهم إلى الحياة، ومنهم من يبكي ندماً على ذلك، وكأنهم حرموا من حياة أفضل بكثير من التي يحيونها في هذه الدنيا.

أثارت ملاحظات الدكتور مودي الكثير من الجدل بين العلماء فمنهم من أيد، ومنهم من حارب وأنكر، وكان من بين المعارضين الدكتور «سابوم» الذي بذل جهوداً كبيرة للحصول على أدلة تفند ما آمن به المؤيدون، ولكنه بعد أن قابل عدداً من الأشخاص الذين مروا بهذه التجربة أصبح من المؤيدين بل من أكثرهم تحمساً لنظرية الدكتور «مودي».

وقام الباحث «كينث رنج» بتدقيق شهادات ماية شخص وشخصين (١٠٢ شخص) ممن مروا بهذه التجربة وقدم الإحصائية التالية:

٦٠ في المئة تحدثوا عن شعور بالسلام والراحة المتناهية.
٣٧ في المئة أكدوا أنهم خرجوا من أجسادهم وشاهدوا ما فعل وقيل.
٢٦ في المئة شاهدوا مناظر غير مألوفة.
٢٣ في المئة دخلوا نفقاً مظلماً أو ما يشبه ذلك، وشاهدوا ضوءاً من بعيد.
١٦في المئة وجدوا أنفسهم وسط ضوء ساطع جداً وشعروا أن مصدره قوي جداً أي أكبر من قوة البشر.
٨ في المئة شاهدوا أو تحدثوا مع أقارب أو معارف لهم ماتوا منذ زمنٍ بعيد.

ويضيف الباحثون أن ما شاهده هؤلاء الناس لم يكن مقتصراً على فئة دون أخرى، فقد كانت الروايات متقاربة، سواء كان الرواة من آسيا أو من إفريقيا أو من أوروبا... إلخ وسواء كانوا من أهل الديانات السماوية أو من غيرهم.

حجة الناس الذين يؤمنون بما رواه العائدون من الموت هي أن إجماع عدد كبير من الناس على ما تعرضوا له أثناء محنتهم لابد وأن يكون فيه شيء من الصحة، وان مقدرة هؤلاء الناس على أن يتذكروا كل ما كان يجري حولهم وهم تحت تأثير المخدر في غرف العمليات لا يحدث للأشخاص الذين يتم تخديرهم لإجراء العمليات الجراحية الأخرى.

نحن لا ننكر على العلماء حقهم في البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية كما أسلفنا، ولكن نحن نؤمن إيماناً راسخاً بكل ما جاء في الكتب السماوية وبتعاليم الأنبياء والرسل أولاً. فالله سبحانه وتعالى علمنا أن لكل إنسان أجل محدد وليس أجلان، وينتهي عمر الإنسان عندما تنفصل روحه عن جسده انفصالاً لا رجعة بعده،

وعليه فإن ما يتكلم عنه هؤلاء الأطباء لا يمكن أن نسميه موتاً بل ربما يكون لوناً من ألوان الغيبوبة العميقة جداً، أما ما بعد الموت فلا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

٦- **بعض من ماتوا وعادوا إلى الحياة كما ورد في القرآن الكريم:**

كل من يقرأ القرآن بتمعن تام وقلب تواق إلى المعرفة يجد في هذا الكتاب الكريم نبعاً غزيراً من المعلومات في أي موضوع يمكن أن يخطر على باله، فلو تطرقنا إلى موضوع الموت مثلاً، لوجدنا أن القرآن يفيدنا أن الموت والقتل شيئان مُختلفان.

ونستدل على هذه الحقيقة بعدد من الآيات القرآنية[1] التي ورد فيها التعبير «مات أو قتل» ووجود كلمة «أو» هنا تفيد أن الموت غير القتل.

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: أن القتل هو هدم البنية بحيث يؤدي هذا الهدم إلى الوفاة، ويستطيع أي شخص أن يقتل شخصاً آخر، أما الموت فهو الوفاة بدون هدم البنية أي بدون إحداث خللٍ في الجسم يمنع قيام أعضاء الجسم من أداء عملها، ولا يقدر على هذا إلا الله سبحانه وتعالى فهو وحده جلت قدرته الذي يحيي ويميت.

وكان سيدنا إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام مؤمناً بان الله وحده هو القادر على أن يحيي ويميت فعندما جادله النمرود في ربه تحداه سيدنا إبراهيم قائلاً: (ربي الذي يحيي ويميت) فقال النمرود: «أنا أستطيع ذلك... آتي بالرجل فأحكم

(١) الآية ١٤٤ و ١٥٦ من سورة آل عمران، الآية ٥٨ من سورة الحج الآية ١٥٧ و ١٥٨ من سورة آل عمران، الآية ١٦ من سورة الأحزاب.

عليه بالإعدام ثم أطلق سراحه فكأني أحييته، أو أقطع رأسه فأميته، وهذا بعيد عن مفهوم سيدنا إبراهيم في الإحياء والإماتة. حيث أن مفهومه عليه السلام أن يأخذ المرء جماداً كقطعة من طين وينفخ فيه فتصبح كائناً حياً كأبناء جنسه، أو يأتي بإنسان سليم الجسم فيقول له: مت، فيموت دون أي تغيير في جسمه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله جلت قدرته، وحتى لا يضيع سيدنا إبراهيم وقته في مجادلة النمرود جاءه من باب آخر... ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] صدق الله العظيم.

ونجد في القرآن الكريم أيضاً دلائل تشير إلى أن هناك أوجه شبه مميزة بين الموت والنوم. فأهل الكهف مثلاً أمضوا ثلاثماية وتسع سنين في نوم عميق، وعندما أفاقوا قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وهذا أيضاً ما قاله العزير عندما بعثه الله سبحانه وتعالى من موتٍ استمر مائة عام (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله) إذن يتضح من هذا أن النائم والميت لا يشعران بمرور الوقت، فهما في هذه الصفة سواء، وتلقي الآية القرآنية (سورة الزمر آية: ٤٢) مزيداً من الضوء على هذه الظاهرة، وفيما يلي نص هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ونستدل من هذا النص القرآني الكريم على أن الله جلت قدرته يقبض أرواح الذين يغيبون عن وعيهم سواء أكان فقدان الوعي ناتجاً عن موتٍ أو نومٍ أو غيبوبة أو أي سبب آخر، بعد ذلك يستبقي الخالق جل شانه أرواح الأشخاص الذين جاء أجلهم، ويدخلهم عالم الأموات، ويعيد أرواح الأشخاص الذين لهم بقية من عمر، فيعودون إلى عالم الأحياء إلى أن يستوفوا أجلهم المكتوب عند بارئهم. ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية أن النوم هو الموت الأصغر، والوفاة هي الموت الأكبر، ولعل ما يشعر به النائم (وكلنا يعرف ذلك) هو نفس ما يشعر به الميت، والله وحده أعلم.

ونجد في القرآن الكريم أيضاً أنباء بعض من أماتهم الله ثم أحياهم، ليبين للناس كافة بعض معالم قدرته جل شأنه فقد ورد في الآية القرآنية (سورة البقرة آية: ٢٥٩) القصة الكاملة لمن أماته الله ماية عامٍ ثم بعثه ليجيبه على استفسارٍ صدر عنه، وهذه هي الآية ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩]

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية إنه كان العزير (أو حزقيل بن نوار) كان يمر على بيت المقدس بعد أن دمرها نبوخذ نصر ولما رأى الدمار والتقتيل منتشراً في كل مكان صدر عنه ها الاستفسار (كيف سيحيي الله هذه البلدة بعد هذا الذي أرى؟) وكان الجواب أن أماته الله ماية عام ثم أحياه، فوجد زاده المكون من عنبٍ وتينٍ وشيء من عصير على حاله (أي لم يتغير)، ووجد حماره قد غدا عظاماً فسأله الملَكْ الذي أرسله الله إليه، كم لبثت؟ قال: «لبثت يوماً أو بعض يوم، فقال له الملك: «[بل لبثت ماية عام في عالم الأموات، ثم بعثك الله بعد أن تحولت إلى عظام بالية مثل حمارك هذا، وانظر كيف يحيي الله حمارك كما أحياك» فلما رأى حماره يتحول رويداً رويداً من هيكل عظمي إلى الشكل الذي عهده عليه قبل موته استغفر ربه وأناب وقال:«أعلم أن الله على كل شيء قدير».

وفي سورة البقرة الشريفة أيضاً قصة الإسرائيلي الثري الذي قتله أحد أقربائه ليستولي على أمواله، واختلف الأهل حول من القاتل، فذهبوا إلى سيدنا موسى عليه السلام ليساعدهم في إيجاد القاتل، فأوحى الله جل شأنه إلى سيدنا موسى أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها، وبعد جدلٍ طويل حول مواصفات البقرة، تمكنوا من إيجاد البقرة وذبحها، وحين ضربوا القتيل ببعضها، بعثه الله وهو سبحانه وتعالى القادر على إحياء الموتى، فنطق باسم قاتله، ويقال بأنه مات بعد ذلك دون أن ينطق بأي كلمة أخرى والله أعلم.

وتتحدث الآية (٢٤٣) [١] من سورة البقرة) الشريفة أيضاً عن قومٍ هربوا من الموت، فأماتهم الله سبحانه وتعالى بكلمة واحدة «موتوا» ثم أحياهم ليبين لهم أن لا مفر من الله إلا إليه.

ويقال إنهم كانوا أربعة آلاف أو ثمانية آلاف نسمة، كانوا يسكنون في واد فابتلاهم الله بالطاعون، فأخذوا يفرون من ذلك الوادي، فأماتهم الله ثم أحياهم ليبين لهم أن الإنسان مهما حاول أن يفر من قضاء الله وقدره المكتوب فلن يفلح.

وأخيراً نذكر قصة السبعين رجلاً الذين اختارهم سيدنا موسى عليه السلام بأمر من ربه العزيز الحكيم، وتوجه بهم ليمقات ربه، فسمعوا صوتاً ولم يتمكنوا من رؤية شيء عندها طلبوا من سيدنا موسى أن يريهم الله جهرة فأرسل الله عليهم الصاعقة فقضت عليهم ثم بعثهم الله مرة أخرى، فعادوا إلى الحياة وفي هذا يقول الحق جل جلاله:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [البقرة:٥٦]

هذه القصص القرآنية الكريمة تدل دلالة واضحة على أنه كان هناك إماتة وإحياء بإذن الله....﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ .... ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.... ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾..... ﴿فَقَالَ لَهُمُ

(١) الآيات ٦٧ إلى ٧٣ من سورة البقرة.

﴿ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾، ولكن القرآن والمفسرين لم يقدموا أي دليل على ما قاله هؤلاء العائدون من الموت عما شاهدوه أو سمعوه. فكم هي المدة التي عاشوها بعد بعثهم؟ هل شاهدوا أنفاقاً مظلمة وأنواراً ساطعة؟ وهل تحدثوا مع معارف سبقوهم إلى الموت وما إلى ذلك؟ نحن نؤمن إيماناً لا تشوبه شائبة أن هؤلاء الناس قد ماتوا ثم بُعثوا لأن الله سبحانه وتعالى أنبأنا بأخبارهم، وكان في موتهم وبعثهم عبرة ودرساً لكل من فتح قلبه للإيمان، فهنيئاً لمن اتعظ بما حدث لغيره وآمن بقضاء الله وقدره.

الفصل الثالث

الحوادث

خصصنا هذا الفصل لسرد الحوادث الغريبة كما أوردتها وسائل الإعلام والتي تم تجميعها على شكل قصاصات من الصحف والمجلات، وقد توخينا نقل هذه الأخبار حرفياً لنبين أن عدم وجود تفاصيل ضرورية أخرى لم يكن لنا فيه يد. وقد قمنا بوضع الحوادث تحت أبواب كما هو مبين أدناه لتيسير المتابعة على القراء. أما عناوين الأبواب فكانت:

أولاً: حوادث السقوط.

ثانياً: حوادث الطائرات.

ثالثاً: حوادث السيارات والقطارات.

رابعاً: حوادث الانتحار.

خامساً: حوادث الغرق.

سادساً: حوادث الكوارث الطبيعية.

سابعاً: أشخاص دفنوا أحياء.

ثامناً: حوادث متفرقة

تاسعاً: هؤلاء جاء أجلهم

أولاً: حوادث السقوط

من المعروف أن السقوط من أماكن مرتفعة أو في حفر عميقة يعد من الحوادث الخطيرة والتي يتعرض لها أناس كثيرون خاصة الأطفال، وعمال البناء، وتؤدي هذه الحوادث غالباً إلى الوفاة في كثير من الحالات سيما إذا كان الارتفاع شاهقاً، والسقوط على سطح صلبٍ، أو على جسمٍ حاد.

والوفاة في مثل هذه الحوادث تكون ناتجة عن تمزق في الأعضاء الداخلية من الجسم، وما يصحبه من نزف حاد وتكسر في العظام وأحياناً يكون السقوط على مادة هشة يساعد على امتصاص الصدمة وتخفيف الأضرار وبقاء المصاب على قيد الحياة. كما أن الأطفال أقل عرضة لمثل هذه الأضرار من الكبار، بسبب قلة الوزن والمرونة في أجسامهم.

إذن فعندما يسقط طفل من ارتفاع يبلغ بضعة أمتار ويبقى على قيد الحياة فهذا أمر يتقبله العقل. أما عندما يهوى هذا الطفل من ارتفاع يصل إلى عشرات الأمتار ويبقى على قيد الحياة، فهذا أمر يعد خارقاً للطبيعة، أو معجزة أو آية من آيات الله سبحانه وتعالى، ومثل هذه الحوادث الغريبة اخترناها لهذا الكتاب، وإليك عزيزي القارئ تفاصيلها كما وردت في المصادر التي نقلتها إلينا.

١- <u>حادثة المظلي:</u>

هذه قصة «روجرز رونلدز» وهو شاب عمره ٢١ عاماً، وينتمي إلى فريق من المظليين الذين يقومون بألعاب بهلوانية في الجو، وفي أحد الأيام نهض روجرز من

النوم وهو يشعر باكتئاب لا يعرف له سببا، وكان لديه شعور أن هناك حادثاً سيئاً سيتعرض له، وكان على موعدٍ مع زملائه لإجراء تدريبات في القفز الجماعي، ولم يتمكن من الاعتذار لأسباب يجهلها.

وخرج مع زملائه، ومن على ارتفاع ٢٣٠٠ قدم قفز من الطائرة، وحاول فتح المظلة، ولكنه فشل وهوى إلى الأرض فسقط في حديقة طبيب (د. أوبريان) ولما شاهده الطبيب أيقن أن لا جدوى من محاولة إسعافه، وجاءت سيارة الإسعاف ونقل إلى المستشفى، وبدأت عمليات الإسعاف وأخذ هذا المصاب في كل جزء من جسمه يستجيب لكل ما يعمل له، وبعد ستة أشهر خرج من المستشفى ليروي للناس كل ما حدث له.

هذه القصة وردت في البرنامج التلفزيوني «أمور لا تصدق» وهي -حقيقة- من الأمور التي لا تصدق. إذ كيف يمكن لمثل هذا الشاب أن يبقى على قيد الحياة بعد أن سقط إلى الأرض من ارتفاع يزيد على سبعماية متر؟ هل يمكن للصدفة أن تلعب أي دورٍ في هذا الحادث؟ بمعنى آخر كم رجلٍ يجب أن نرمي من هذا الارتفاع إلى الأرض لنحصل على شخصٍ واحد يعالج ويشفى؟ لاشك أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذا الشاب أن يخدم من حوله بتذكيرهم بأن الأعمار بيدِ الله وحده سبحانه يحيي ويميت، بيده الخيرُ، وهو على كل شيء قدير.

٢- **<u>متسلق جبال يسقط من ارتفاع سبعماية قدم:</u>**

يقول الخبر كما نقلته إحدى الصحف اليومية: تمكنت فرقة إنقاذ تابعة للخطوط الجوية الملكية البريطانية من إنقاذ رجل من هواة تسلق الجبال حين هوى

من ارتفاع أكثر من سبعماية قدم (٢٢٠ متر) وأصيب بجروح بليغة بينما كان يتسلق احد الجبال الواقعة في منطقة البحيرات في الشمال الغربي من إنجلترا.

فقد هوى المحامي «جاري هوجان» (٢٩ عاماً) أولاً من ارتفاع سبعماية قدم ثم تدحرج وسقط بقية المسافة، واستقر في موقع على انخفاض أكثر من ٧٠٠ قدم. وقد استغرقت عملية الإنقاذ أكثر من ٩٠ دقيقة بسبب سوء الأحوال الجوية.... وقد أجريت للجريح عمليتان جراحيتان في الرأس والظهر عقب وصوله مستشفى «نيوكاسل».

انتهى الخبر دون أي تفاصيل أخرى، ورب متشكك يقول: إن هذه ليست بالمعجزة الكبرى لأن الرجل كان يلبس ملابس سميكة، ووقع على ثلج كثيف، مما ساعد في تخفيف الصدمة. وهذا صحيح ولكن كم متسلق جبال سقط من ارتفاع أقل من هذا بكثير وقضى نحبه؟ وهل يعقل أن يبقى على قيد الحياة بعد أن نزفت جروحه مدة ٩٠ دقيقة لولا عناية الخالق جلّت قدرته؟.

٣- **سقوط عاملين من عمارات تحت الإنشاء:**

حادثتان منفصلتان في الزمان ولكنهما متشابهتان إلى حد كبير في التفاصيل والنتائج، وفيما يلي الخبر الأول: نجا عامل من الموت بعد سقوطه من الدور الخامس في إحدى العمارات يوم أمس... وقد سقط العامل البالغ من العمر ٢٧ عاماً نتيجة انزلاقه أثناء ترميم الواجهة الأمامية للمبنى الذي كان يعمل فيه، حيث وقع على فرع شجرة ومنها إلى الأرض لتكتب له الحياة من جديد.

أما الخبر الثاني فيقول: «سقط مواطن مصري من الدور السابع من إحدى العمارات بجوار كوبري الجامعة بالجيزة من جنوب مصر، بسبب إصابته بماس كهربائي، فاختل توازنه وهوى إلى الأرض، وقد فوجئ المارة الذين شاهدوا سقوط هذا الشخص على الأرض (واسمه صبحي محمد عبد الرحمن، ١٧ عام) وقام بنفض ملابسه بهدوء شديد ويقول: «الحمد لله جَتْ سليمة» غير أن أحد رجال المرور طلب سيارة إسعاف ونقله إلى المستشفى حيث أكد تقرير المستشفى سلامة الرجل تماماً. وأنه لم يصب إلا بخدوش بسيطة في ركبته وغادر المستشفى إلى منزله مشياً على الأقدام».

هذا الفتى نجا من الماس الكهربائي، ثم نجا من الموت نتيجة سقوطه من ارتفاع يقارب العشرين متراً، وخرج من هذا الحادث مُعافى تماماً، أليس في هذا أكبر عبرة، وأكبر دليل على أن الله سبحانه وتعالى يذكرنا بقدرته؟ فاعتبروا يا أولي الألباب.

٤- <u>أم تُلقي بطفليها من الشباك:</u>

هذه معجزة في شكل مأساة أو مأساة في شكل معجزة... سمها ما شئت ولكنها حادثة غريبة تعطينا جرعة من الإيمان بالله والتفكر في قدرته جل شأنه، وإليك الخبر كما ورد في الصحيفة:

«لندن: قضت محكمة الجنايات المركزية في لندن (أولد بيلي) بإيداع البريطانية دوروثي ساربونج المصحة العقلية وجاء في الحيثيات قول المحكمة أن «دوروثي» من حي «هانكي» شرقي لندن أصيبت بحالة اكتئاب حاد فأمسكت بابنتها التي تبلغ من العمر ١٤ شهراً، ثم قذفت بها من نافذة شقتها في الطابق الثالث فهوت الطفلة إلى

الأرض جثة هامدة، واستطردت لائحة الحكم تقول: إن الأم لم تكتف بما فعلته مع طفلتها (إيمانيويلا) بل انقضت على ابنها (ديفيد) الذي يبلغ من العمر عامين وقذفت به وراء أخته لكن الولد نجا من الموت بأعجوبة ووجد إلى جوار جثة أخته غارقاً في بركة من الدم».

هذان طفلان يلقيان من نفس المكان إلى الأرض، فيموت أحدهما ويبقى الآخر على قيد الحياة، فهل للأطباء من تفسير لبقاء الطفل على قيد الحياة غير (الصدفة)؟ نحن نقول أنها آجال محددة عند الله، فإذا جاء الأجل مات وإلاّ فلا، ولا راد لقضاء الله سبحانه ما أروع تدبيره في مُلكه.

حوادث سقوط الأطفال من أماكن مرتفعة أو في أغوار سحيقة كثيرة وكثيرة جداً، ومعظم هذه الحوادث تؤدي إلى وفاة الطفل، ولكن أحياناً تحدث معجزات تذهل العقول، وقد اخترنا مجموعة من هذه الحوادث التي نجا فيها الأطفال رغم سقوطهم مسافات تراوحت بين خمسة أمتار وسبعين متراً، وفيما يلي النص الحرفي للأخبار كما أوردتها المصادر:

٥- **غابرييل**:

«في جنوب باريس سقط طفل يدعى «غابرييل» لا يزيد عمره عن سنتين من النافذة في عمارة شقة، وقدرت المسافة التي قطعها في سقوطه بسبعين متراً ونجا من الموت، وفيما يلي نص الخبر:

«سقط طفل في الثانية من عمره يدعى (غابرييل) من الطابق الثامن عشر في عمارة سكنية ضخمة في باريس ولم يصب بسوء وهذه ليست كذبة نيسان بل معجزة أكدها الجيران.

وأوضحت الشرطة أن الحادث وقع في واحدة من العمارات الشاهقة بجنوب باريس وكان الطفل يلعب والنافذة مفتوحة، وكانت والدته منهكمة في أعمالها اليومية، ومال الطفل إلى النافذة فسقط من ارتفاع سبعين مترٍ، وشاهده بعض المارة وهو يسقط، لكنه وقع على مرج أخضر ولم يبد حراكاً، فظن الجميع أنه قد مات، ولكن سرعان ما تبين لهم أنه سليم. وربما يرجع الفضل في إنقاذ حياته إلى ليونة عظامه، وكذلك طراوة المرج الذي سقط فوقه».

ليونة عظام الطفل والمروج الخضراء لا تنقذ من يسقط من مثل هذا الارتفاع، وإنما هي مشيئة الله جلت قدرته، ولهذا الطفل بقية من حياة في كتاب الله مقررة يوم أن نفخت فيه الروح.

٦- طفل آخر نجا من الموت بعد أن سقط من ارتفاع شاهق جداً، وقد ورد وصف موجز لهذا الحادث على النحو التالي:

«سقط طفل في الرابعة من عمره من الطابق السابع عشر (ارتفاع ٦٠ متر) من إحدى بنايات تورنتو/ كندا، ولكنه لم يصب إلا بكسر بسيط في أحد عظام الوجه، وإصابة خفيفة في الرئة، وحالته لا تبعث على القلق».

٧- وتتكرر مثل هذه المعجزة في بلدٍ آخر حيث يقول الخبر:

«طفل لم يتم عامه الأول، حبا إلى النافذة المفتوحة في الطابق السابع عشر من بنايةٍ مرتفعةٍ، وأطل برأسه من النافذة فهوى من ارتفاع ١٧٠ قدم (٥٣ متر) إلى الأرض لكنه لم يمت. فقد تلقفه فرع شجرة تُفاح عند سفح البناية، وامتصت حدة ارتطامه قبل سقوطه إلى الأرض...» وللخبر بقية لا تهمنا.

والأطفال كما هو معروف، مولعون جداً بالتقليد، وما أكثر الأطفال الذين هلكوا نتيجة تقليدهم لأبطال الأفلام السينمائية خاصة أفلام «طرزان» و «السوبرمان» وفيما يلي حادثتان من هذه الحوادث إلا أن الطفلين فيهما لم يلحق بهما أذى.

٨- يقول الخبر:

«شاهد الطفل «هاري كارلندو» (٥ سنوات) فيلماً من أفلام سوبرمان البطولية وتوجه إلى نافذة غرفة نومه، ووقف على حافة النافذة ثم ألقى بنفسه إلى الأرض، ولحسن الحظ فقد صادف سقوطه فوق شجرة مما أنقذه من موت محتم. وجدير بالذكر أن بيت ذوي الطفل يقع في الطابق السابع من بناية مؤلفة من عشر طوابق....».

٩- أما الخبر الثاني فقد ورد كما يلي:

«الصغير «شون موزي» والذي يبلغ من العمر ٦ أعوام فقط، وصف بين أهله وجيرانه بأنه السوبرمان رقم ٢، والسبب في التسمية التي ربما قد استحقها الطفل

أنه سقط مرتين من ارتفاع عال وخرج في كل مرة من الحادث يسير منتصب القامة، كما لو كان قطاً فطر على السقوط سالماً من علٍ. وقد حدث ليلة أمس أن كان (شون) يطل من غرفة النوم من ارتفاع ٢٠ قدم لكن شاء قدره أن يسقط فوق كيس القمامة ونهض الصغير يجري دون سوء، سوى أن سناً في مقدمة فمه انكسرت، وقبل ثلاثة أعوام حين كان (شون) في الثالثة من عمره، سقط من ارتفاع ٦٠ قدم، ونهض يمشي بإذنٍ مقطوعة...».

سبحان الله، هذا الطفل الذي نجا من الموت مرتين ربما يسقط من فوق كرسي فيلقى حتفه، فالقضية ليست قضية مهارة في السقوط، أو السقوط فوق شيء لين، أو ليونة عظام، وإنما هي آجال محددة عند الله ولا يعلم متى ولا أين ولا كيف يموت الإنسان إلاّ الذي وهبه هذه الحياة. سبحانك ربي ما أعظم شانك.

أحياناً يكون سقوط الأطفال من أماكن مرتفعة حوادث لا تخلو من الطرافة كالحادثة التالية:

١٠- «**... طفلة صغيرة تبلغ من العمر عامان سقطت من نافذة في الطابق الثالث إلى شرفة في الطابق الثاني ولم تصب بسوء. فقد حطت فوق هرة.**

الطفلة «هايلي ريبيجل».... تسلقت ليلة أمس فوق كرسي إلى نافذة الشقة، ودفعها فضول الصغار إلى أن تتدلى لاستطلاع ما تحتها، لكنها هوت من ارتفاع ١٥ قدم إلى شرفة الطابق الثاني، ولحسن الحظ أن هرة كانت هي الأخرى تتطلع إلى

الأعلى، فهوت الصغيرة فوقها ولم يحدث سوء للصغيرة أو حتى للهرة التي احتملت قوة الارتطام.....».

ألا يجوز لنا أن نفترض أن الطفلة تمنت على الله أن يجمعها بتلك الهرة الجميلة، أو أن الهرة هي التي تمنت فاستجاب الله لهذا الدعاء، وجمعهما بسلامٍ من عنده؟ هذا غذاء للفكر.

وقصص الأطفال الذين يسقطون في حفر عميقة كثيرة جداً أيضاً ونكتفي بواحدة منها كنموذج.

١١- **ابتسامة طفلٍ سقط في منجم:**

تحت هذا العنوان كتبت إحدى الصحف الخبر التالي:

«هوى الطفل سام لويس» وهو في الثالثة من عمره أمس الأول في حفرة منجم فحم مهجور، واستقر في قاعها المُظلم على عمق أكثر من ماية قدم (٣١ متر) إذ بينما كان الطفل يسير إلى جانب والده في حديقة منزلهم في بلدة (ثري مايلستون) قرب مدينة (ترود) في الجنوب الغربي من الجزيرة البريطانية انشقت الأرض فجأة تحت قدميه وابتلعته أمام نظر والده الذي جمد في مكانه مصعوقاً، وبعد أن آفاق والده (الذي يعمل مهندساً جيولوجياً في منجم للقصدير بالمنطقة) من الذهول اقترب من فوهة الحفرة وهتف بالصبي فيما إذا كان يسمعه فأجابه الصبي إني أسمعك ولكنني لا أحب هذا المكان المظلم، وأريد الخروج منه».